جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم الاجتماع

المتغيرات المحددة للسلوك الانتخابي في المجتمع المصري في ضوء نظرية الاختيار العقلاني: دراسة على عينة ريفية وحضرية

رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في علم الاجتماع السياسي

الباحث

محمد عبد المعز عبد الرحمن

تحت إشراف

أ.د/ على محمود أبو ليلة

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب

جامعة عين شمس

د/ سالي محمود سامي

مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب

جامعة عين شمس

٢٠١٧

اهـــــــداء

إلى أبي وأمي وأخوتي الذين تعبوا كثيرًا وصبروا طويلًا من أجل أن يظهر هذا العمل إلى النور.

إلى أخي الأكبر/ خالي وليد، كنت لي دومًا أخًا وأبًا وخالًا.

إلى روح أخي الأصغر أحمد محمود؛ الزهرة التي قطفها الموت من بيننا.

إلى روح أستاذي الدكتورعلي ليلة، رجل العلم والأخلاق.

إلى كل من وقف بجانبي وشجعني على مسيرة كانت مليئة بالعراقيل والأشواك.

إليهم جميعًا أهدي هذا العمل.

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنهمُ على الهُدى لمن استهدى أدلاءُ

وقيمةُ المرءِ ما قد كان يحسِنُهُ والجاهِلونَ لأهل العلمِ أعداءُ

ففز بعلمٍ تعش حيًا به أبدا فالناسُ مَوْتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

العلمُ زينٌ فكن للعلمِ مكتسباً وكن له طالباً ما عشتَ مقتبسا

اركنْ إليه وثِقْ واغنَ به وكنْ حليماً رزينَ العقلِ مُحْتَرِسا

لا تأثمنَّ فإما كُنْتَ منهمِكاً في العلمِ يوماً وإما كنتَ منغمسا

وكن فتىً ماسكاً محضَ التقى وَرِعا للدينِ منغمساً للعلمِ مُفْترِسا

(الامام علي ابن أبي طالب)

إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

(الأصفهانى)

- Any piece of research, even huge endeavors, in the best of circumstances, throws some partial light on the phenomenon under study. (Andre Blais)

- إن أي بحث مهما كانت مساعيه الضخمة، فأنه ،في أفضل حالاته، يلقى ضوئاً جزئيًا على الظاهرة موضوع الدراسة (أندريه بليز).

شكر وتقدير

مهما تقدمنا وفُتِحت أمامنا الطرق ووصلنا لكل ما نحلم به، علينا أن نتذكر من كانوا سبب نجاحنا، من ساندنا وأمسك بيدنا، من أعطانا الدافع والحافز على الإستمرار، فمهما عبرنا لهم تخوننا الكلمات، ولا نجد كلمات توفيهم حقهم. وقبل كل شئ الشكر لله عز وجل الذي أنار لي الدرب، وفتح لي أبواب العلم وأمدني بالصبر والإرادة.

أستاذي الدكتور على ليلة، الغائب اليوم الحاضر دومًا بروحه وعلمه وكلماته، أدعو الله عزوجل أن يشفيه شفاءًا لا يغادر سقَما إنه ولي ذلك والقادر عليه، فهو رجل لا تعرفه حتى تألفه، ولا تسمعه حتى تعيره أذناك، فله على القلب سلطان، تالله لم يصل إلى الفضيله من قبله ما وصل، ولم يحصل من قبله من العلم ما حصل وفصل، واتساق الفكر والمنطق ورجاحة العقل ما رسخ ووصل. لا أنسي تشجيعه الدائم لي، وثقته المفرطة في، لا أنسى ثقته في حينما خصني بمراجعة كتابه النظرية الاجتماعية، ولا أنسي شكره في الكتاب، ولا يغيب عن مسامعي كلمات الإهداء التي كتبها "ابني العزيز محمد، اتمنى أن أرى لك ما يتجاوز هذا العمل وأنا على يقين من ذلك"، تلك الكلمات التي كانت بقدر ما تسعدني وتزيد من قدرتي على المثابرة وتدفعني إلى الاجتهاد دفعا، بقدر أكبر كانت تضع كاهَلا كبيرًا على عاتقي، فأحاول الاجتهاد والتميز لكي أكون عند حسن ظن أستاذي. كنت لي دومًا مشجعًا ومحفزًا، وكنت لي دومًا الأب الحنون، والمعلم الناصح، فبارك الله في عمرك وعلمك، وحفظك ذخرًا للعلم والباحثين.

وإن كانت سعادتي غير مكتملة لعدم وجود أستاذي الدكتور علي ليلة بيننا اليوم، فإن هذا الحزن قد كسره وجود عالم فحل مثل أستاذي الدكتور مصطفى مرتضي، الذي كان إشرافه على هذا العمل إضافة جديدة لي ولهذا العمل المتواضع، والحقيقة أنني عرفت أستاذي الدكتور مصطفى مرتضى منذ السنة التمهيدية، فلم يبخل على أحد قط بعلم أو نصيحة، ولم يغلق بابه في وجه أحد البتة، ويلقاك بوجه بشوش، فله طلة بهيجة، وابتسامة مضيئة، وضحكة تبرق في المكان، فلأستاذي كل الشكر والتقدير.

ومما زادني فخرًا وتيها، وكدت بأخمصي أطأ الثريا أن يقبل مناقشتي أستاذي الدكتور/ أحمد فاروق الجهمي، عميد كلية الآداب جامعة المنيا، والعالم الفحل في علم الاجتماع السياسي؛ صاحب الطلة البهيجة والابتسامة المضيئة والتواضع الجم، لقد تكلف عناء السفر ليناقش هذا العمل، إن قبول حضراتكم مناقشتي لهو وسام على صدري ما دمت حيًا. فله مني كل الشكر والتقدير.

أستاذي الأستاذ الدكتور/ عبد الوهاب جودة، العلم الغزير والخلق الرفيع والأخلاق الملائكية تمثلت في هيئة انسان يمشي على الأرض، أستاذي الدكتور عبد الوهاب جودة، فصاحة اللسان، جودة التبيان، قوة الحجة

والبرهان، لقد عرفت أستاذي الدكتور عبد الوهاب منذ أكثر من عامين، والحقيقة أنه لم يبخل علي أبدًا بعلم أو نصيحة، ونصحني كثيرًا في تجويد هذا العمل، فله مني كل الشكر والتقدير.

أستاذتي الدكتورة، سالي محمود؛ التي لم كانت دومًا بمثابة أخت كبرى، تقول وتشجع وتنصح، وتقدم يد العون والمساعدة، فلها مني كل الشكر والتقدير.

جدي وأستاذي الأستاذ الدكتور، أحمد زايد، والله مهما أوتيت من فصاحة اللسان ومن بلاغة الأسلوب والتبيان، فلم أستطع ولن أستطيع أن أوفيك قدرك، وكيف لا! وكل خطوة خطوتها كانت بفضل تعاليمك ونصائحك، جدي وأستاذي لم استقي منه العلم فحسب ولا الأخلاق لا غير، بل استقيت منه كل شئ، نظرته إلى الحياة، معاملته للآخرين، مثاليته المتناهية، تالله لا تعرفه حتى تألفه، تُخبر طلعته عن عظمة السلاطين، وتخبر جلسته عن تصوف الزاهدين، ويخبر حديثه عن كبير للحكماء والعارفين.

أستاذتي الدكتورة سميحة نصر، رجاحة العقل، وعواطف القلب اجتمعتا في شخص واحد، فلا يطغى عقلها على قلبها فتكون أقرب للقسوة منها إلى اللين، ولا يطغى قلبها على عقلها، فتكون أقرب للسذاجة منها إلى العقلانية، بل جمعت بين هذا وذاك، كانت لي دومًا مشجعًا ومحفزًا، فلها مني كل الشكر والتقدير.

أستاذي الدكتور سعيد المصري، الذي ندمت كثيرًا على أن يضيع من عمري أربع سنوات دون معرفة به، ما أجمل وما امتع الحوار معه، وما أروع أن تستمع اليه، وما احلمه حين يعلمك، وما اروعه حين يثير تفكيرك بأسئلته العبقرية والفذة، كان حديثي معه في استمارة الاستبيان نقطة تحول كبيرة في العودة لضبط مفاهيمي. ولقد مثل الأستاذ الدكتور سعيد مرحلة أخرى فارقة في تاريخ حياتي العلمية؛ فقد أحيا أملا كان قد اندثر، وجدد عزيمة أوشكت على الفتور، علمني أن بعد الحلكة يظهر بصيص النور، وأنه في آخر النفق الظلم هناك شمعة تحترق، ربما تحترق من أجلك أنت فقط كي تحقق أهدافك، علمني أنك ما دمت تنمي قدراتك، وتُحسن العلم فإنك قادم لا محالة، فله مني كل الشكر والتقدير.

كما أود أن أشكر أستاذي وأخي الأكبر وصديقي الأستاذ الدكتور خالد عبد الفتاح، كان لي بمثابة المعلم الناصح، والأخ الفاضل والصديق المخلص، سقاني من علمه كثيرًا، ولم يبخل علي بوقت أو جهد أو معلومة، فبارك الله لك في علمك وزادك منه، ودمت معلمًا وأخًا وصديقًا.

أستاذتي الدكتورة منال زكريا، طيبة القلب، ورجاحة العقل والتفكير، كانت لي دومًا أم تدفعك إلى الانجاز، فشكرا لك على كل شئ.

أستاذي العالم الجليل، الأستاذ الدكتور، سعد الدين ابراهيم، العلم الغزير والتواضع الذي ليس له مثيل، واحترام أراء الآخرين وعدم الحجر على أفكارهم، لقد سمح لي رغم صغر سني وضآلة خبرتي أن أساجله على صفحات الجرائد. أستاذي الدكتور سعد الدين ابراهيم، كان لي بمثابة معلم ملهم أستمد منه طاقتي، وأتعلم منه كل يوم شيئًا جديدًا، فله مني كل الشكر والتقدير.

كما أتوجه بخالص الشكر إلى أستاذي الدكتور المهندس/ محب ذكي؛ الأستاذ بالمعاش بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، تالله لم أجد أخلاقًا كأخلاقه ولا علمًا كعلمه، ولا إصرارًا على تعليمك كإصراره فهو يُعملك بعزيمة لا تفتر وارادة لا تُقهر وصبرا لا ينفد، فله مني كل الشكر والتقدير.

أستاذي الأستاذ الدكتور أسامة عبد الباري، أستاذ ورئيس قسم الاجتماع جامعة الشارقة، الأخلاق النادرة، والعين الناقدة الثاقبة وتوجيه النظر إلى المغفول عنه، كان دائم التشجيع لي، وأنفق كثيرًا من وقته في تحكيم الاستبيان وتحسينه، فله مني كل الشكر والتقدير.

أستاذي الدكتور أحمد موسى بدوي، خبير علم الاجتماع بالمركز العربي للبحوث، تعرفت عليه منذ نعومة أظافري في البحث، ووجهني كثيرًا وشجعني أكثر، ظل لي نبراسًا للعلم ومثالًا يُحتذى، فله مني جزيل الشكر والتقدير.

كما أشكر أساتذتي وأصدقائي بالجامعة الأمريكية بالقاهرة الذين تعلمت على أيديهم وساعدوني كثيرًا، وأخص بالذكر الدكتور راي لنجستون استاذ علم الاجتماع بمركز البحوث الاجتماعية بالجامعة الأمريكية، لقد نهلت من علمه قليًلا وودت لو نهلت الكثير، فله مني كل الشكر والتقدير. كما أتوجه بالشكر الى صديقتي وأختي الدكتورة إيمان شادي مدرس مساعد العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية، وباحث مساعد بمركز البحوث الاجتماعية بالجامعة، وزميلتي الدكتورة فاطمة سعيد مدرس مساعد الإحصاء بكلية التجارة جامعة أسيوط، وباحث مساعد بمركز البحوث الاجتماعية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، اللتان لم يبخلا عليَ بوقت أو جهد فلهما مني كل الشكر والتقدير.

أبي وأمي، يحتاجون مني إلى يوم بل عام بأكمله لأعدد أفضالهم، أقول لهم: فضلكم يا والدي عمني حتى اللجم كل هم قد اصبنا زادكم بالطبع هم، إن كل ما جنينا من جهودكم نجم والدي يا خير عون كان لي عند المحن، أنتي يا من تملكين جنة تحت القدم كل ألفاظ لساني كل شكر قد رنم، اجمعوا كل المعاني من عراب أو عجم لا توافي شكركن لا تجاوز العدم. أطال الله لي عمركم وقدرني أني أوافيكم بعض حقكم.

أخوتي ، لا أجد ما أقول لهم، هم ليسوا أخوتي بل أبنائي، بارك الله لي فيكم، ودمتم لي سندًا وعونًا. أخوالي الذين كانوا دائمي التشجيع لي، وأخص بالذكر أخي الأكبر خالي وليد، وخالي حجاب، وخالي بيومي. أعمامي الذين كانوا دائمي التشجيع لي أيضًا، وأخص بالذكر، عمي وجدي حسن، وعمي شعبان عبد الرحمن، وعمي خالد معبد.

كما أتوجه بالشكر إلى أسرتي في المجتمع القاهري، عمي الدكتور أحمد زايد. وأختي الدكتورة ياسمين علاء الدين، عمي الدكتور علي زايد، والدكتورة سناء عاطف. كما أتوجه بخالص الشكر إلى أصدقائي، عبد الله زايد، وصديقي الباحث الواعد قياتي عاشور لما قدماه لي من مساعدة في إنجاز العمل الميداني.

وأخيرًا، لقد حاولت التميز دومًا واجتهدت قدر استطاعتي، قطعت على نفسي عهدًا منذ البداية، لن ينظر أحد إلى رسالتي غيري، بما في ذلك الإحصاء، درست دبلوم العلوم السياسية والتحليل الاحصائي بالجامعة القاهرة، ودرست برنامج Spss، وأدرس دبلوم الاحصاء التحليلي حتى أكون قادرا على التحليل الاحصائي، لأني دوما كان لدي قناعة بأنك كباحث لا بد أن تجري دراستك بنفسك من الألف إلى الياء، وحتى الترجمة، ترجمت عددًا من الورقات البحثية الكاملة، وقرأت أجزاءًا كبيرة في أكثر من خمسين دراسة أجنبية؛ تلك الدراسات التي شكلت بداية دراسات السلوك الانتخابي والتي تمثلت في دراسات كولومبيا، ودراسات ميتشجان، وحتى فصل التراث البحثي، فقد ترجمت أكثر من خمس ورقات أجنبية لمعرفة كيف يتم كتابة التراث البحثي، حاولت أن أتجنب النقل أو النسخ، وسعيت إلى انتاج نصًا ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، حاولت أن أمتلك نصًا خاصًا بي، نجحت في شيء وأخفقت في أشياء، فهذة سمة تسم البحث العلمي، ومن قال أعرف كل شيء فقد عرف شيئًا وغابت عنه أشياء.

وقبل الختام، فإنني وإن كنت حتى الآن قد شكرت أولئك الذين كانت مواقفهم إيجابية تجاهي، أولئك الذين وقفوا بجانبي، وشجعونى، فأني لا أستطيع أن اختم دون أن أشكر أولئك الذين خذلوني بعكس ما توقعت منهم، أولئك الذين كانت مواقفهم تجاهي بمثابة نارًا أشعلت قلبي وأوغلت صدري وأوغرت جراحي، فسرعان ما ضمدت الجراح، وتحولت كلماتهم ومواقفهم إلى محفزات شجعتني أكثر من أي شئ آخر على إكمال مسيرتي.

إلى هؤلاء وأولئك جميعًا، لهم مني الشكر والتقدير.

• الفهرس

شكر وتقدير	أ - د
الفهرس	ه - ز
مقدمة عامة	ح - ل
الفصل الأول: الاطار التصوري للدراسة	**١ ــ ١٩**
• **تمهيد**	٢
١- مشكلة الدراسة	٢ ــ ١٠
٢- أهداف الدراسة	١٠
٣- أهمية الدراسة	١١
٤- المفاهيم الأساسية في الدراسة	**١٢ ــ ١٩**
أ- السلوك الانتخابي	١٢ ــ ١٤
ب- الانتخابات	١٤ ــ ١٦
ت- الاختيار العقلاني	١٦ - ١٩
الفصل الثاني : مراجعة التراث البحثي	**٢٠ - ٤٣**
١- تمهيد	٢١ ــ ٢٣
٢- المحور الأول: العوامل الاجتماعية المؤثرة في السلوك الانتخابي	٢٣- ٢٨
٣- المحور الثاني: العوامل الأيديولوجية المؤثرة في السلوك الانتخابي	٢٩ ــ ٣٤
٤- المحور الثالث: العوامل السيكولوجية والشخصية المؤثرة في السلوك الانتخابي	٣٤ ــ ٣٦
٥- المحور الرابع: تأثير العوامل التي توجد في سياقات خاصة في السلوك الانتخابي	٣٦ ــ ٣٩
• **تعقيب عام: الدراسة الحالية على خريطة الدراسات السابقة**	٤٠ - ٤٣
الفصل الثالث: التطور التاريخي للحياة البرلمانية في مصر الحديثة	**٤٤ - ٧٦**
• **تمهيد**	**٤٥ ــ ٤٦**
• **<u>أولًا: التطور التاريخي للحق في التصويت في السياقين العالمي والمصري</u>**	**٤٦ ــ ٤٩**
أ- الحق في التصويت في السياق التاريخي العالمي	٤٦ ــ ٤٨
ب- الحق في التصويت في السياق التاريخي المصري	٤٨ ــ ٤٩

• **ثانيًا: التطور التاريخى للحياة البرلمانية فى مصر الحديثة**	**٤٩ – ٧٦**
أ- الحياة البرلمانية في مرحلة النشأة والتطور (١٨٦٦: ١٨٨١)	٥١ – ٥٤
ب- الحياة البرلمانية في الفترة (١٨٨٢ : ١٩٢٢): انتكاسة بعد ينوع	٥٤- ٥٨
ج- مرحلة الديمقراطية البرلمانية (١٩٢٣ : ١٩٥٢)	٥٨ – ٦٥
د- الحياة البرلمانية في جمهورية مصر العربية (١٩٥٣ :٢٠١٥).	
١- الفترة من ١٩٥٢: ١٩٧١	٦٦- ٦٨
٢- الفترة من ١٩٧١: ٢٠١١	٦٨ – ٧١
٣- مرحلة ما بعد ثورة يناير ٢٠١١	٧١ - ٧٦
• **الفصل الرابع: الإطار النظري الموجه للدراسة: نظرية الاختيار العقلاني**	**٧٧ - ١٠٢**
• **تمهيد**	٧٨ – ٨٠
أولا: جذور نظرية الاختيار العقلاني	٨٠ – ٨٥
ثانيًا: فرضيات نظرية الاختيار العقلاني	٨٦ – ٨٩
ثالثًا: نظرية الاختيار العقلاني والسلوك الانتخابي	**٩٠ – ١٠٢**
١- عقلانية الإقبال الانتخابي (الذهاب الى صناديق الاقتراع)	٩٢ – ٩٨
٢- عقلانية الإدبار الانتخابي (الامتناع عن الذهاب الى صناديق الاقتراع)	٩٨ – ٩٩
٣- عقلانية الاختيار الانتخابي	١٠٠ - ١٠٢
• **الفصل الخامس: الإجراءات المنهجية للدراسة**	**١٠٣ - ١٢٢**
• **تمهيد**	١٠٤ – ١٠٥
١- منهجية الدراسة	١٠٥
٢- مجتمع الدراسة	١٠٥
٣- عينة الدراسة	١٠٦
٤- أدوات الدراسة	١٠٧ – ١٠٨
٥- صدق وثبات استمارة الاستبيان	١٠٩
٦- عملية جمع البيانات	١١٠
٧- صعوبات العمل الميداني وكيفية التغلب عليها	١١٠
٨- الخصائص العامة لعينة الدراسة	١١١ – ١٢٠

٩- تحليل وتفسير البيانات	١٢١ - ١٢٢
الفصل السادس: عقلانية الإقبال والإدبار الانتخابي	**١٢٣ - ١٥٩**
تمهيد	١٢٤
أولا: العوامل التي تدفع المواطنين إلى الذهاب إلى صناديق الاقتراع	١٢٥ _ ١٣٥
ثانيًا: مقياس عقلانية الإقبال الانتخابي	١٣٦ _ ١٤٤
ثالثًا: العوامل التي تدفع بعض المواطنين إلى الإحجام عن الذهاب إلى صناديق الاقتراع	١٤٥ _ ١٥٤
رابعًا: مقياس عقلانية الإدبار الانتخابي	١٥٥ - ١٥٩
الفصل السابع: مقياس السلوك الانتخابي	**١٦٠ _ ١٩٩**
• **تمهيد**	١٦١ _ ١٦٢
• **أولاً: العوامل المحددة لاختيارات الناخبين:**	**١٦٣- ١٩٤**
أ- العوامل العقلانية التقليدية (الذاتية)	١٦٣ _ ١٧٠
ب- العوامل الاجتماعية	١٧٠ _ ١٧٥
ت- العوامل الأيديولوجية	١٧٥ _ ١٨٤
ث- العوامل السيكولوجية والشخصية	
ج- العوامل الاقتصادية والدعاية الاعلانية	١٨٤ _ ١٨٩
٢- العوامل العقلانية الحديثة (الموضوعية)	١٩٠ _ ١٩٤
• **ثانيًا: مقياس السلوك الانتخابي العقلاني**	١٩٥ - ١٩٩
الفصل الثامن : الاستنتاجات والتوصيات	**٢٠٠ - ٢١٠**
تمهيد	٢٠١- ٢٠٦
١- الاستنتاجات العامة	٢٠٦ _ ٢٠٧
٢- استنتاجات نظرية	٢٠٨ _ ٢١٠
٣- استنتاجات منهجية	
٤- التوصيات	٢١٠

مقدمـــة عامة

لا شك أن الانتخابات هي أحد الأعمدة الأساسية لإرساء دعائم الديمقراطية الحديثة، والخيار الوحيد في المجتمع الديمقراطي لتنصيب السلطتين التشريعية والتنفيذية وإضفاء الشرعية على كليهما، ولا جدال أن أحد مؤشرات الديمقراطية في المجتمع المعاصر هو وجود انتخابات تتسم بالشفافية والنزاهة. ولا تشير الشفافية والنزاهة المعنيان إلى العمليات اللوجيستية المتعلقة بالعملية الانتخابية فحسب، ولا إلى شفافية الإجراءات المتبعة في قبول المرشحين واستبعادهم وإدراة العملية التصويتية فكفى، ولا إلى شفافية ونزاهة القائمين على العملية الانتخابية لا غير، بل ثمة شفافية ونزاهة بمعنى آخر يتشكلان اعتمادًا على طرفي العملية الانتخابية بصورة أساسية –الناخبون والمرشحون– هما: شفافية ونزاهة المرشحين في تعاملاتهم وعدم خداعهم لجمهور الناخبين، وعدم استغلال الظروف الاقتصادية السيئة لبعض المواطنين وشراء أصواتهم بثمن بخس، ونزاهة الناخب الذي يسعى إلى تحقيق المصلحة العامة في اختياره للمرشحين، ولا ينظر إلى الانتخابات باعتبارها "موسمًا لجني الأموال" من المرشحين، أو لتحقيق مصالح شخصية له ولذويه دون النظر إلى المصلحة العامة. إن هذا الطرف الأخير بصورة أساسية –الناخبون– يستدعينا للحديث عن الناخب العقلاني، ذلك الناخب الذي يؤسس لسلوك مبني علي رؤية عقلانية يقدر فيها المزايا والعيوب أو المكاسب والخسائر، ويختار من بين استراتيجيات السلوك أفضلها. فهل يمكننا تصوره وايجاده؟ هل يمكن أن نتحدث عن نموذج مثالي للناخب، أو لما يصدر عن الناخب من اختيار في أثناء عملية التصويت؟.

لا شك أن هذا النموذج –سالف الذكر– يمكن بناؤه عبر نظرية الاختيار العقلاني الحر التي تؤسس لسلوك مبني علي رؤية عقلانية للفاعل، يقدر فيها المزايا والعيوب أو المكاسب والخسائر، ويختار من بين استراتيجيات السلوك أفضلها، ناخب عقلاني حُر قادر على التمييز بين الصالح والطالح في ظل وجود معلومات حقيقية ومناخ سياسي مواتٍ، ناخب لا ينيخ تحت أية توجهات أيديولوجية أو اجتماعية أو نعرات عرقية، ناخب يجعل وجهته الصالح العام لا الخاص.

وقد زاد من أهمية الحديث عن ذلك الناخب العقلاني الموجات الثورية المتلاحقة التي شهدها المجتمع المصري منذ ٢٥ يناير ٢٠١١، فقد شهد المجتمع المصري منذ تلك الفترة تحولات جذرية هامة في نظامه السياسي بصورة أساسية، حيث أطاحت ثورة يناير ٢٠١١ بنظام ديكتاتوري مستبد، أهلك الحرث والنسل وسعى في الأرض فسادا، وطّن الأمراض، واستعبد العباد، ونشر ثقافة الوساطة والإستهانة والفساد، وأطاحت ثورة يونيو ٢٠١٣ بنظام منتخب سعى إلى الإستبداد والديكتاتورية، متخذًا غطاءً له من السلطة الروحية والهيمنة الدينية، فكانت فاشية دينية لا مِراء.

ومن ثم تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على العوامل الحاكمة للسلوك الانتخابي للناخب المصري في الانتخابات البرلمانية ٢٠١٥، ومدى عقلانية هذا السلوك. ويقصد بالسلوك الانتخابي: عملية الذهاب الفعلي للأفراد (الناخبين) إلى صناديق الاقتراع والإدلاء بأصواتهم لواحد أو أكثر أو قائمة من المرشحين الذين يفضلونهم، وذلك لاختيار من يمثلونهم في مجلس النواب ٢٠١٥، أو عملية الامتناع المقصود عن التصويت لأمور تتعلق بحسابات الناخب. أما الاختيار العقلاني فيقصد به شيئين: الأول هو: الذهاب أو الامتناع العقلاني؛ الذي يقصد به أن يقوم الفرد بحساب التكاليف (الوقت – التكلفة المادية– الجهد) التي يدفعها في ذهابه للانتخابات، ثم يحسب المنافع التي يكسبها من ذهابه (التي قد تكون حتى مجرد الإرضاء النفسي، أو المحافظة على الديمقراطية) ويقوم باختيار ما يحقق له أكبر قدر من المكاسب التي ستعود عليه أو على الصالح العام، ويكلفه أقل قدر ممكن من التكاليف، والثاني هو: الاختيار العقلاني؛ والذي يقصد به الاختيار الذي لا يتأثر بأية عوامل اجتماعية (الانتماء العائلي أو القبلي، الانتماء العرقي أو الاثني، التقاليد العائلية، الطبقة الاجتماعية، رأس المال الاجتماعي) أو عوامل أيديولوجية (الانتماء الديني أو الحزبي) أو عوامل شخصية وسيكولوجية (شخصية المرشح، صورة المرشح، صفات المرشح، قدرة المرشح على تقديم الخدمات، العمر والمستوى التعليمي والنوع لكلا الطرفين؛ المرشح والناخب) أو عوامل اقتصادية (الرشاوى الانتخابية وشراء الأصوات، الزبائنية أو المحسوبية)، وهو اختيار يقوم على إعلاء شأن الصالح العام.

وتشير دراسات السلوك الانتخابي حول العالم، إلى أن السلوك الانتخابي للناخبين لم يتشكل مصادفة، بل هو نتاج عمليات كثيرة تفاعلت فيها عوامل عدة وأنتجت في النهاية سلوكًا محددًا، وتتمثل هذه العوامل في العوامل السوسيولوجية: كالانتماء العائلي والطبقي والقبلي، والعوامل الأيديولوجية كالانتماء الحزبي والديني، والعوامل السيكولوجية والشخصية لكلا الطرفين (المرشح والناخب) كتأثير صفات المرشح وشخصيته أو تأثر الناخب بالمستوى التعليمي والنوع الاجتماعي، إلى جانب تأثير العوامل الاقتصادية كرأس المال السياسي، ومؤثرات البيئة الخارجية كحجم الدائرة والنظام الانتخابي واستخدام البلطجة وترويع الناخبين. وتتدخل عوامل ومتغيرات عدة في تحديد العوامل المؤثرة في السلوك الانتخابي؛ ولذا تتغير العوامل المحددة للسلوك الانتخابي في كل انتخابات على حده؛ فنجد العوامل المحددة للسلوك الانتخابي في الانتخابات الرئاسية تختلف عن تلك العوامل المحددة للسلوك الانتخابي في الانتخابات البرلمانية والانتخابات المحلية، وكذلك تختلف تلك العوامل وتختلف عقلانية الناخب باختلاف النظم الانتخابية؛ حيث ترتفع الهوية الحزبية إلى أقصى درجة في نظم الثنائية الحزبية، وتضعف بصورة كبيرة وتبرز مؤثرات أخرى في نظم التعددية الحزبية(Echegaray, 1996). كما قد تلعب الخصائص الديموجرافية للناخبين أنفسهم دورًا في ذلك، ففي بلد منقسم عرقيًا غالبًا ما يكون التصويت على أساس عرقي، حيث يرى الناخبون أن الأفراد الذين يتشاركون معهم جماعتهم العرقية أو الأثنية،

هم أكثر شعورًا بهمومهم وآلامهم، وأفضل تمثيلاً لهم من منافسيهم المختلفين معهم (Gaines, 2008)، وأيضًا تختلف عقلانية الناخب باختلاف القضايا السياسية المطروحة، وغيرها من العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والثقافية.

ويوضح التاريخ الانتخابي للناخب المصري عن تأثره بعدد من هذه العوامل، ففي حقبة العشرينيات والثلاثينات والأربعينيات من القرن العشرين، تأثر الناخب المصري بالعامل الحزبي، فحصد حزب الوفد أغلبية المقاعد في البرلمان في أغلب الأوقات وحينما لم تكن هناك تدخلات من الحكومة في تزوير الانتخابات (علي الدين هلال، ١٩٧٧)، ووصل التعصب أو الهوية الحزبية والانتخاب على أساس حزبي مجرد إلى الدرجة التي قيل بها "لو رشح الوفد كلبًا لفاز في الانتخابات". ثم جاءت فترة عبد الناصر وسيادة التنظيم الواحد، وأصبح الانتخاب يستند بصورة كبيرة إلى الانتخاب على الأساس الأيديولوجي الذي كان الاشتراكية آنذاك، ثم فترة السادات، ففترة حسني مبارك، تلك الفترة التي ساد فيها بدرجة كبيرة الانتخاب بناءً على قدرات المرشح ومدى تقديمه للخدمات، وظهر نوع جديد من الانتخاب عُرف بـ"نمط الزبائنية" (سارة بن نفيسة، ٢٠٠٥)، إضافة إلى سواد ظاهرة التهديد عن طريق البلطجة أمام اللجان الانتخابية في بعض الانتخابات، كل ذلك وسط عزوف لامراء فيه من الناخبين، فلم تزد نسبة المشاركة في أية انتخابات في فترة حكم الرئيس مبارك عن ٣٥ % بحال. وظهر تأثير العامل الديني جليًا في الاستحقاقات الانتخابية التي شهدتها مصر بعد ثورة ٢٥ يناير، حيث ظهر التصويت على الأساس الديني بوضوح في الاستفتاء على التعديلات الدستورية فى ١٩ مارس ٢٠١١، إذ اطلق الاسلاميون دعوتهم للتصويت على الاستفتاء بنعم مروجين أن من يصوت بنعم سيدخل الجنة ومن يصوت بـ لا يدخل النار (حنان أبو سكين، ٢٠١٤) وظهر التصويت على أساس ديني مصحوبًا بالرشاوى الانتخابية التي تمثلت في توزيع بعض السلع التموينية في الانتخابات البرلمانية ٢٠١١/٢٠١٢. كل هذا كان مبررًا قويًا للتشكيك في إمكانية وجود ناخب عقلاني في المجتمع المصري، ناخب يجعل وجهته الصالح العام لا الخاص.

وعلى الرغم من التراث البحثي المتراكم والهائل عن السلوك الانتخابي على المستوى الدولى والاقليمي والمحلي، فإن دراسة السلوك الانتخابي في ضوء نظرية الاختيار العقلاني ضئيلة على المستوى العالمي والاقليمي، وقد تكون منعدمة على المستوى المحلي، ولذا فقد طورت هذه الدراسة عدة فرضيات نظرية تعالج بها مفارقة السلوك الانتخابي – التي تؤكد على أن نظرية الاختيار العقلاني تقف عاجزة أمام تفسير السلوك الانتخابي– تلك الفرضيات التي تذهب إلى أننا يمكننا إيجاد تفسيرات للسلوك الانتخابي في ضوء نظرية الاختيار العقلاني إذا ما وضعنا في الاعتبار المنافع غير المادية التي يحصل عليها الناخبين، وراعينا في ذلك الحسابات على مستوى الصالح العام، وكذلك راعينا وجهة نظر الناخبين في رؤيتهم لكلفة التصويت من عدمه.

وخلال قراءة التراث البحثي للسلوك الانتخابي، لاحظت الدراسة أن جُل التراث البحثي في السلوك الانتخابي اتجه صوب الدراسة الكمية للسلوك الانتخابي عن طريق الاستبيانات، ولا توجد دراسات كيفية إلا في نطاق محدود للغاية، ومن ثم سعت الدراسة إلى تبنى كل من المنهج الكمي والمنهج الكيفي في عملية جمع البيانات، والدمج بينهما في عملية التحليل، فتقوم بعرضهما متلازمين، فيكون أحدهما مؤكدًا ومدعمًا للآخر.

وتنقسم الدراسة إلى ثمانية فصول: يقدم الفصل الأول عرضًا مفصلًا لمشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها ثم يتناول المفاهيم الأساسية في الدراسة والتي تمثلت في: مفهوم السلوك الانتخابي، الانتخابات، ومفهوم الاختيار العقلاني.

ويعرض الفصل الثاني للتراث البحثي الأمبيريقي في دراسة السلوك الانتخابي –على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي– وذلك في ضوء أربعة محاور رئيسة هي: العوامل الاجتماعية المؤثرة في السلوك الانتخابي، العوامل الأيديولوجية المؤثرة في السلوك الانتخابي، العوامل السيكولوجية والشخصية المؤثرة في السلوك الانتخابي، وتأثير العوامل الاقتصادية والبيئة الخارجية في السلوك الانتخابي، ثم يختتم الفصل بتوضيح موقف هذه الدراسة من التراث البحثي في السلوك الانتخابي، وما الذي ستضيفه هذه الدراسة لهذا التراث المتراكم من البحث العلمي في السلوك الانتخابي.

ويتناول الفصل الثالث تحليلًا سوسيوتاريخيًا للحياة البرلمانية في المجتمع المصري منذ البذور الأولى للبرلمان وحتى الآن، ويحاول هذا الفصل في كل مرحلة تطورية من تلك المراحل أن يتعرف على الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تطور النظم البرلمانية.

ويخُصص الفصل الرابع لعرض الإطار النظري للدراسة؛ فيعرض لنظرية الاختيار العقلاني وجذورها وفرضياتها الأساسية، ثم يعرض الفصل للكيفية التي تفسر بها نظرية الاختيار العقلاني السلوك الانتخابي، وأخيرًا، يطور الفصل عدة فرضيات يمكننا في خلالها إيجاد تفسيرات أكثر تعقيدًا للسلوك الانتخابي في ضوء نظرية الاختيار العقلاني.

وابتداءً من الفصل الخامس وحتى الثامن يتم تناول الدراسة الميدانية، فيعرض الفصل الخامس للإجراءات المنهجية التي اُستخدمت في الدراسة لتحقق أهدافها، وكذلك الأدوات التي تم الاعتماد عليها في عملية جمع البيانات، ووصف لمحاورها الأساسية، ثم يتحدث هذا الفصل عن مجتمع الدراسة وحجم العينة، وطريقة اختيارها، وعملية جمع البيانات، والصعوبات التي واجهت العمل الميداني، ثم يتناول بعد ذلك خصائص عينة الدراسة والمتمثلة في: الخصائص الجغرافية للعينة (ريف، حضر)، والخصائص النوعية، والخصائص العمرية، والمستوى التعليمي، ونسبة من صوتوا إلى نسبة من لم يصوتوا في الحضر والريف.